Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تكثر من ذكر أبيها وقرينها مما يدل على مقدار احترامها لهما وتعلُّقها بهما .

زرتُها مرة وسيدة انجليزية فوجدنا صالونها مملوءاً بالزائرات المسلمات من والدات وفتيات ودارت بينهن مناقشة في ما إذا وقع خلاف بين أب المرأة وزوجها فأيهما تتبع . فكثرت الأقوال واحتدم الجدال إلى أن قالت شابة عروس عام : « مات أبي منذ سنوات خمس فحزنت عليه حزناً شديداً وما زلتُ أبكيه إلى يومي هذا . ولكن إذا مات زوجي أموت معه ولن أعيش بعده لحظة لأبكيه » . فاعترضت والدة هذه السيدة بلهجة جعلتني أظن أن بينها وبين صهرها سوء تفاهم في أمر من الأمور ، وإنها تودّ استمالة ابنتها إليها . لكن باحثة البادية دخلت بينهما قائلة بلهجة جمعت بين الجد والمزاح : « مكثتُ في دار أبي عشرين سنة ولما تتم لي هذه المدة عند زوجي ... » فقاطعها هنا بعض الزائرات قائلات : « ما هذا ؟ أتجعلين طول الإقامة ميزاناً للحب » !

قلت ان باحثة البادية امرأة بكل معنى الكلمة ، فهي لا تريد أن يعرف الجميع خفايا ضميرها ولا تريد أن تجرح زائراتها . وقد كان لديها مع قلمها (الذي كان صريره يشبه أحياناً وخز حربة صغيرة غمست في مداد إنما هو مزيج من مرارة ولهيب) سلاح آخر نسائي محض ، وهو الضحك ، وما يتقدمه من نظرات لطيفات المعاني وما ينتج عنه من إرضاء الجميع دون إغضاب أحد ، والتخلص من المواقف الحرجة بمهارة وبساطة .

لو قالت « تتبع المرأة زوجها » لغضبت الأمهات . ولو قالت « تتبع والدها » لسخط الأخريات . فلم تقل هذا ولا ذاك بل ضحكت في وسط الضوضاء والاحتجاج والاعتراض ضحكة فضية كرنين البلور على البلور ، أعقبتها بنكتة صغيرة أقفلت باب الموضوع وأرغمت جميع الحاضرات على الاشتراك في الضحك . وما كان أجمل ضحكة ثغرها ، بينا شفتاها القرمزيتان تتلامسان بألفاظ مصرية التركيب واللهجة والمعنى !